

تفسير البحر المحيط

@ 412 @ منهم ، فأرى ا[] المسلمين الكافرين في ضعفي المسلمين على ما قرر في قوله : {
إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ * مَّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْدِينَ } لتجترئوا عليهم .
وإذن كان الضمير في : لكم ، للكافرين وفي : ترونهم ، الخطاب لهم ، والمنصوب والمجرور
للمؤمنين . والتقدير : ترون أيها الكافرون المؤمنين مثلي أنفسهم . .
ويحتمل أن يكون الضمير المجرور عائداً على الفئة الكافرة ، أي : مثلي الفئة الكافرة
وهم أنفسهم ، فيكون ا[] تعالى قد أرى المشركين المؤمنين أضعاف أنفسهم المؤمنين ، أو أضعاف
الكافرين على قلة المؤمنين ليها بوهم ويجبنوا عنهم ، وكانت تلك الرؤية مدداً من ا[]
للمؤمنين ، كما أمدهم تعالى بالملائكة ، فإن كانت هذه ، وآية الأنفال في قصة واحدة ،
فالجمع بين هذا الكثير وذاك التقليل باعتبار حالين ، قللوا أولاً في أعين الكفار حتى
يجترئوا على ملاقات المؤمنين ، وكثروا حالة الملاقاة حتى قهروا وغلبوا ، كقوله : {
وَقَفَّيْهُمُ بِإِزْنِهِمْ } { فَيَكُونُوا مَذْذِيلاً يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْ سَأِلَ } وَلَا جَانٌّ }
وأما من قرأ بالياء المفتوحة . فالظاهر أن الجملة صفة لقوله : وأخرى كافرة ، وضمير
الرفع عائد عليها على المعنى ، إذ لو عاد على اللفظ لكان : تراهم ، وضمير النصب عائد
على : فئة تقاتل في سبيل ا[] ، وضمير الجرّ في : مثلهم ، عائد على فئة أيضاً ، وذلك
على معنى الفئة ، إذ لو عاد على اللفظ لكان التركيب : تراها مثلها ، أي ترى الفئة
الكافرة الفئة المؤمنة في مثلي عدد نفسها . أي : ستمائة ونيف وعشرين ، أو مثلي أنفسهم
الفئة الكافرة ، أي ألفين ، أو قريباً من ألفين . .
ويحتمل أن يكون ضمير الفاعل عائداً على الفئة المؤمنة على المعنى ، والضمير المنصوب
والمجرور عائداً على الفئة الكافرة على المعنى ، أي : ترى الفئة المؤمنة الفئة الكافرة
مثلي نفسها . .
ويحتمل أن يعود الضمير المجرور على الفئة الكافرة ، أي : مثلي الفئة الكافرة .
والجملة إذ ذاك صفة لقوله : وأخرى كافرة ، ففي الوجه الأول الرابط الواو ، وفي هذا
الوجه الرابط ضمير النصب . وإذا كان الضمير في : لكم ، لليهود ؛ فالآية كما أمر ا[] نبيه
صلّى ا[] عليه وسلم) أن يقوله لهم احتجاجاً عليهم ، وتثبيتاً لصورة الوعد السابق من أن
الكفار : سيغلبون . .
فمن قرأ بالتاء كان معناه : لو حضرتم ، أو إن كنتم حضرتم ، وساغ هذا الخطاب لوضوح

الأمر في نفسه ، ووقوع اليقين به ، لكل إنسان في ذلك العصر ، ومن قرأ بالياء فضمير الفاعل يحتمل أن يكون للفئة المؤمنة ، ويحتمل أن يكون للفئة الكافرة على ما تقرر قبل .

والرؤية في هاتين القراءتين بصرية تتعدى لواحد ، وانتصب : مثلهم ، على الحال . قاله أبو علي ، ومكي ، والمهدوي . ويقوي ذلك ظاهر قوله : رأي العين ، وانتصابه على هذا انتصاب المصدر المؤكد . .

قال الزمخشري : رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها معاينة كسائر المعانيات . وقيل : الرؤية هنا من رؤية القلب ، فيتعدى لإثنين ، والثاني هو : مثلهم . ورد هذا بوجهين : أحدهما : قوله تعالى : رأي العين ، والثاني : أن رؤية القلب علم ، ومحال أن يعلم الشيء شيئين .

وأجيب عن الأول : بأن انتصابه انتصاب المصدر التشبيهي ، أي : رأياً مثل رأي العين أي يشبه رأي العين وليس في التحقيق به . وعن الثاني : بأن معنى الرؤية هنا الاعتقاد ، فلا يكون ذلك محالاً . وإذا كانوا قد أطلقوا العلم في اللغة على الاعتقاد دون اليقين ، فلأن يطلقوا الرأي عليه أولى . قال تعالى : { فَإِنَّ عِلْمَ تَمُوهُنَّ - مُؤْمِنَاتٍ } أي فإن اعتقدتم إيمانهم ، ويدل على هذا قراءة من قرأ : ترونهم ، بضم التاء ، أو الباء . قالوا : فكأن المعنى أن اعتقاد التضعيف في جمع الكفار أو المؤمنين كان تخميناً وطنائاً ، لا يقيناً . فلذلك ترك في العبارة ضرب من الشك ، وذلك أن : أُرِي ، بضم الهمزة تقولها فيما عندك فيه نظر ، وإذا كان كذلك ، فكما استحال أن يحمل الرأي هنا على العلم ، يستحيل أن يحمل على النظر بالعين ، لأنه كما لا يقع : العلم غير مطابق للمعلوم ، كذلك لا يقع : النظر البصري مخالفاً للمنظور إليه ، فالظاهر أن ذلك إنما هو على سبيل التخمين والظن ، وإنه لتمكن ذلك في اعتقادهم . .

شبه برؤية العين ، والرأي مصدر : رأى ، يقال : رأى رأياً ورؤية ورؤيا ، ويغلب رؤيا في المنام ورؤية في البصرية يقظة ، ورأيا في الاعتقاد ، يقال : هذا رأي فلان ، قال